والسندس : الديباج الرقيق النفيس والأكثر على أنه معرب من الفارسية وقيل عربي . أصله : سندي منسوب إلى السند على غير قياس . والسندس يلبس مما يلي الجسد .

والإستبرق الديباج القوي يلبس فوق الثياب وهو معرب " استبره " فارسية وهو الغليظ مطلقا ثم خص بغليظ الديباج ثم عرب .

وتقدما في قوله (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق) في سورة الكهف فارجع إليه .

و (من) لبيان الجنس والمبين محذوف دل عليه (يلبسون) . والتقدير : ثيابا من سندس وإستبرق .

ثم وصف نعيم نفوسهم بعضهم مع بعض في مجالسهم ومحادثاتهم بقوله (متقابلين) ؟ لأن الحديث مع الأصحاب والأحبة نعيم للنفس فأغنى قوله (متقابلين) عن ذكر اجتماعهم وتحابهم وحديث بعضهم مع بعض وأن ذلك شأنهم أجمعين بأن ذكر ما يستلزم ذلك وهو صيغة متقابلين ومادته على وجه الإيجاز البديع .

(كذلك) اعتراض وقد تقدم بيان معناه عن قوله تعالى (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) في سورة الكهف . وتقدم نظيره آنفا في هذه السورة .

(وزوجناهم بحور عين [54] يدعون فيها بكل فاكهة آمنين [55] لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) معنى (زوجناهم) جعلناهم أزواجا جمع زوج ضد الفرد أي جعلنا كل فرد من المتقين زوجا بسبب نساء حور العيون .

والزوج هنا كناية عن القرين أي قرنا بكل واحد نساء حورا عينا وليس فعل (زوجناهم) هنا مشتقا من الزوج الشائع إطلاقه على امرأة الرجل وعلى رجل المرأة لأن ذلك الفعل يتعدى بنفسه يقال : زوجه ابنته وتزوج بنت فلان قال تعالى (زوجناكم) وليس ذلك بمراد هنا إذ لا طائل تحته إذ ليس في الجنة عقود نكاح وإنما المراد أنهم مأنوسون بصحبة حبائب من النساء كما أنسوا بصحبة الأصحاب والأحبة من الرجال استكمالا لمتعارف الأنس بين الناس . وفي كلا الأنسين نعيم نفساني منجر للنفس من النعيم الجثماني وهذا معنى سام من معاني الانبساط الروحي وإنما أفسد بعضه في الدنيا ما يخالط بعضه من أحوال تجر إلى فساد منهي عنه مثل ارتكاب المحرم شرعا ومثل الاعتداء على المرأة قسرا ومن مصطلحات متكلفة وقد سمى ا سكونا فقال (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

والحور : جمع الحوراء وهي البيضاء أي بنساء بضيضات الجلد .

والعين : جمع العيناء وهي واسعة العين وتقدم في سورة الصافات . وشمل الحور العين النساء اللاء كن أزواجهم في الدنيا ونساء يخلقهن ا لأجل الجنة قال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) وقال تعالى (هم وأزواجهم في ظلال) .

ومعنى (يدعون فيها بكل فاكهة) أي هم يأمرون بأن تحضر لهم الفاكهة أي فيجابون .

والدعاء نوع من الأمر أي يأذنون بكل فاكهة أي بإحضار كل فاكهة .

و (كل) هنا مستعملة في الكثرة الشديدة لكل واحد منهم . ويجوز أن تكون بمعنى الإحاطة أي بكل صنف من أصناف الفاكهة .

والفاكهة : ما يتفكه به أي يتلذذ بطعمه من الثمار ونحوها .

وجملة (يدعون) حال من (المتقين) و (آمنين) حال من ضمير (يدعون) . والمراد هنا أمن خاص غير الذي في قوله (في مقام أمين) وهو الأمن من الغوائل والآلام من تلك الفواكه على خلاف حال الإكثار من الطعام في الدنيا كقوله في خمر الجنة (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) أو آمنين من نفاد ذلك وانقطاعه .

وجملة (لا يذوقون فيها الموتة إلا الموتة الأولى) حال أخرى . وهذه بشارة بخلود النعمة لأن الموت يقطع ما كان في الحياة من النعيم لأصحاب النعيم كما كان الإعلام بأن أهل الشرك لا يموتون نذارة بدوام العذاب .

والاستثناء في قوله (إلا الموتة الأولى) من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لزيادة تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أجل الجنة فكأنه قيل لا يذوقون الموت البتة وقرينة ذلك وصفها ب (الأولى) . والمراد ب (الأولى) السالفة كما تقدم آنفا في قوله (إن هي إلا موتتنا الأولى) .

(ووقايهم عذاب الجحيم [56] فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم [57]) عطف على (وزوجناهم بحور عين) . وهذا تذكير بنعمة السلامة مما ارتبك فيه غيرهم . وذلك مما يحمد ا عليه كما ورد أن من آداب من يرى غيره في شدة أو بأس أن يقول : الحمد الذي عافاني مما هو فيه